الحديث الخامس والعشرون
«كل معروف صدقة»

«عن ابي ذر الغفاري (رضي)، ان ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يارسول الله ذهب أهلُ الدُّثور بالأجور، يصلون كما نصليّ، ويصومون كما نصوم، ويتصدَّقون بفضُول أموالهم، قال: أوَليس قد جعل الله لكم ما تَصَدَّقون: إنَّ بكل تسبيحة صدقةً، وكلّ تهليلة صدقةً، وأمر بالمعروف صدقةً، ونهي عن منكر صدقة، وفي بُضع احدكم صدقة، قالوا: يارسول الله، ايأتي أحدُنا شهوتهَ، ويكونُ له فيها أجر؟! قال: أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه وزرٌ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر!»رواه مسلم.

٢ ـ روايات والفاظ اخرى :

* عن ابي هريرة: ان فقراء المهاجرين أتوا النبي ﷺ فقالوا: ذهب اهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم، فقال: وما ذاك؟ قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق، فقال ﷺ: افلا اعلمكم شيئاً تدركون به من قد سبقكم وتسبقون به من بعدكم، ولايكون احد افضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة، قال الراوي (عن ابي هريرة): فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع اخواننا اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله، فقال ﷺ: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.
* وفي صحيح مسلم: كل معروف صدقة.
* وفي البخاري: الصدقة تطلق على جميع انواع المعروف والاحسان . . . الخ

* وعن ابي ذر عنه ﷺ: تبسمك في وجه اخيك الك صدقة وامرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وارشادك الرجل في ارض الضلال لك صدقة، واماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وافراغك من دلوك في دلو اخيك لك صدقة.

* وعن أبي ذر: قلت يارسول الله، ذهب الاغنياء بالاجر يتصدقون ولا نتصدق، قالا: وانت فيك صدقة: رفعك العظم عن الطريق صدقة، وهدايتك الطريق صدقة . . . ومباضعتك امرأتك صدقة، قلت: يارسول الله، نأتي شهوتنا ونؤجر؟ قال: ارأيت لو جعلت ذلك في حرام، اكان تأثم؟ قال نعم، قال: افتحتسبون بالشر ولا تحتسبون بالخير؟[1].

٣ ـ ارتباطه بالأربعين:

* يرتبط بحديث: الامر بالمعروف والنهي عن المنكر رقم ٣٤.
* ويرتبط بحديث ٢٦/: كل سلامى من الناس عليه صدقة . . . فهو بمثابة التفصيل والتمثيل لما في الحديث ٢٥.
* ويرتبط بحديث: فليقل خيراً/ حديث رقم ١٥.
* ويرتبط بحديث: الدين النصيحة، لشمول ذلك لكل انواع البر والخير.
* وبحديث ١٣ ـ لايؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.
* وبحديث ١٨ ـ وخالق الناس بخلق حسن. * وبحديث: كتب الاحسان على كل شيء.
* وبحديث ٢٣ ـ الطهور شطر الايمان . . .
* وبحديث ٣٦ ـ من نفس عن مؤمن كربة . . .
* وبحديث ٣٧ ـ من هم بحسنة، لان الفقراء في حديث ٢٥ هموا بفعل الخير لو كانوا يقدرون، وبحديث: انما الاعمال بالنيات لانهم نووا فعل الخير كما يظهر من

---

(١) جامع العلوم/ شرح الحديث٢٥/ ص٢٠٤ـ٢٠٦.

آخر الحديث: وفي بُضع أحدكم صدقة ـ اذا قصد الولد او العفاف[1].

٤ ـ أهميته:

* لم أجد من تكلم عن أهميته ممن وقفت على شروحهم؛ غير أن ذلك لم يُلغ الرغبة في ذكر شيء عنها اتباعاً لخطتنا في الشرح، فأقول:

ترجع اهمية هذا الحديث الى كونه قد أبرز جانباً مهماً من جوانب الشمول في الاسلام، وكونه غير قاصر على بعض العبادات وافعال البر المعهودة، بل اذا توفرت النية الصالحة صار بها كل فعل وكل حركة: من الطاعات والعبادات، ولاسيما اذا كان الفعل متجهاً الى النفع العام، فهو بذلك يشجع كل فرد في المجتمع مهما كانت أمكانياته على أن يقدّم ما يقدر عليه من قول أو فعل وحسب هذا المعنى في هذا الحديث دليلاً على علو منزلته وعظيم أهميته.

٥ ـ شرح الحديث:

أ) البيان اللغوي:

* ان ناساً: هم فقراء المهاجرين، كما في الرواية الثانية لمسلم.
* ذهب: مضى، واستأثر «انفرد».
* الدثور: الاموال الكثيرة، جمع دَثْر كفَلْس.
* بالاجور: الدرجات الزائدة، بسبب زيادتهم في الصدقة.
* بفضول اموالهم: بما يزيد عن كفايتهم.
* اوليس: الهمزة للانكار، بمعنى النفي، والواو للعطف على مقدر، اي أيكون ذلك وليس، ونفي النفي اثبات، اي لاتقولوا ذلك، فانه قد جعل لكم ما به تتصدقون.

---

(١) ويرتبط كذلك بحديث: ما نهيتكم وما أمرتكم حديث ٩، فإنه سيأتي في الحديث ٢٦ ان ذلك من الشكر الواجب، ويرتبط كذلك، بحديث ٣٠ ـ ان الله فرض فرائض فلا تضيّعوها. . وبحديث: ما اجتمع قوم ص٣٦ـ وبحديث ٣٨ ـ وما تقرب إليّ عبدي، فقد جمع فضل الفرائض والنوافل.

* صدقة : حسنة، سماها صدقة، مشاكلة لصدقة المال.
* وكل تكبيرة/ المختار ان كل في المواضع الثلاثة بالجر عطفاً، وصدقة اسم ان منصوب وكذا : وامر، ونهى، وفي بعض النسخ: بالرفع على الابتداء في الكل وصدقة خبر[1].
* بُضع: بالضم، الجماع، ويجوز: محله.
* أرأيتم: أخبروني * لو وضعها: شهوته.

ب) المعنى الاجمالي:

ان الفقراء ظنوا ان لاصدقة الا بالمال، وهم عاجزون عن ذلك، فشكوا أمرهم للنبي ﷺ، لاحسداً لاخوانهم وانما من قبيل حب التنافس والسبق في فعل الخير وسبل التقرب الى الله تعالى، فأخبرهم النبي ﷺ: أن جميع انواع فعل المعروف والاحسان صدقة، بما في ذلك ذكر الله بأنواع من الذكر مما هو مقدور لكل انسان، بل وجميع المباحات، حتى المشتهيات منها إذا صاحبها نية مقصودة للشارع تصير من الصدقات كالجماع بالحلال.

٦ ـ بعض مايرشد اليه:

* لايجوز احتقار شيء من انواع المعروف، مهما كان يبدو في نظر الناس تافهاً، لان ذلك يدعوه الى البخل به.
* ثبوت حكم الصدقة في كل فرد من افراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
* المباحات تصير بالنيات من الصدقات والطاعات، فالجماع بالحلال يكون صدقة اذا نوى به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف، اوطلب ولد صالح، او اعفاف نفسه، او اعفاف الزوجة.
* مشروعية القياس بنوعيه، قياس الطرد وقياس العكس، وهو مذهب العلماء

---

(١) ارجع الى القسم الثاني من الشرح، ففيه تفصيل لهذه الناحية.

كافة، كما قال النووي، ولم يخالف الا اهل الظاهر، ولايعتد بهم[1]، واما المنقول عن التابعين ونحوهم: من ذم القياس، فليس المراد به القياس الذي يعتمده الفقهاء المجتهدون، وقد اختلف الاصوليون في العمل بقياس العكس، والحديث دليل لمن يرى العمل به وهو الأصح، كما قال النووي في شرح مسلم/ج٧ص٩٣.

* جميع انواع المعروف صدقة كما ورد في حديث «كل معروف صدقة».

* الترغيب في الزواج والترهيب من كل صور العلاقات الجنسية غير المشروعة.
* بيان فضيلة التسبيح وسائر الاذكار.
* جواز سؤال المستفتي عن بعض ما يخفى من الدليل اذا علم من حال المسؤول انه لا يكره ذلك، ولم يكن فيه سوء ادب.
* يستوي في الأجر الفقير الصابر مع الغني الشاكر، لان في كل من الصبر والشكر خصوصية، إلا اذا فعل الغني الشاكر ما يفعله الفقير الصابر، فإنه عندئذ يفضله بدليل قوله ﷺ في الرواية الاخرى: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.
* مشروعية الغبطة، وهي تمنى مثل ما للغير من الخير، بخلاف الحسد، كما سبق، وكما سيأتي.
* بيان شدة حرص الصحابة (رضي) على الاعمال الصالحة، وقوة رغبتهم في الخير، حتى انهم كانوا يحزنون على ما يتعذر عليهم فعله من الخير، مما يقدر عليه غيرهم، وقد اشار القرآن الكريم الى ذلك: «.. تولوا واعينهم تفيض من

---

(١) انظر كتاب: ملخص ابطال القياس والرأي.. لابن حزم الاندلسي/ طبع عام ١٩٦٠م بمطبعة جامعة دمشق بتحقيق سعيد الافغاني/ وانظر القياس في الشرع الاسلامي لابن تيمية وابن القيم، فإنه ينقض كتاب ابن حزم وآراء الظاهرية، مع انه من أئمة السلفية/ الطبعة الثالثة ١٣٨٥هـ. **وقياس الطرد هو** الحاق فرع «او مسألة غير منصوص عليها بنص شرعي»، بأصل «مسأله منصوص عليها» لاتحادهما في علة الحكم، كقياس العمة على الاخت في تحريم الجمع بين المرأة وعمتها في الزواج قياساً على تحريم الجمع بين الاختين، **وقياس العكس**، هو اعطاء عكس حكم المنطوق لغير المنصوص عليه، كما فعل ابن مسعود (رضي): قال النبي ﷺ كلمة ، وقلتُ أنا أخرى، قال: من مات لايشرك بالله شيئاً دخل الجنه»/ الجامع ص٢٠٨/ وكذا الحديث: ارأيتم لو وضعها في الحرام فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له أجر، فقاس المعاشرة بالحلال في استحقاق الاجر على المعاشرة بالحرام في استحقاق الوزر، وهو قياس عكس كما ترى.

الدمع حزناً الا يجدوا ما ينفقون» الآية ٩٢ من سورة التوبة.

* الحرص على التنافس في فعل الخير.

٧ ـ بعض التطبيقات على الحديث:

* أورد الحديث النووي في رياض الصالحين، تحت باب: فضل الغني الشاكر: وهو من اخذ المال من وجهه وصرفه في وجوهه المأمور بها"[1].

* ألف الشيخ أبو محمد المنذري ـ مؤلف الترغيب والترهيب ـ كتاباً يضم أربعين حديثاً في اصطناع المعروف، وهو أول كتاب خاص بذلك الموضوع، وقد راج هذا الكتاب رواجاً كبيراً في الاوساط الاسلامية، وبخاصة من الراغبين في فعل الخير وصنع المعروف، ويسمى كتابه: الأربعين المنذرية، فهذا الكتاب يعتبر أهم تطبيق لهذا الحديث النبوي، وهو جامع لجميع انواع المعروف، فينبغي الرجوع إليه لمن طلب زيادة المعرفة بهذا الكتاب،[2] واليك بعض هذه الاحاديث: الحديث الاول: «الخلق كلهم عيال الله، واحب خلقه اليه انفعهم لعياله» الحديث الثاني: ان الله عز وجل خلق خلقاً لحوائج الناس يفزع اليهم الناس في حوائجهم، اولئك الآمنون من عذاب الله تعالى».

الحديث العشرون: كل معروف صدقه، والدال على الخير كفاعله، وان الله يحب اغاثة اللهفان».

* الحديث السادس والعشرون: «افضل الصدقة صدقة اللسان، قيل يارسول الله: ما صدقة اللسان؟ قال: الشفاعة تفك بها الاسير، وتحقن بها الدم، وتدفع عنه الكريهة».

الحديث الثامن والثلاثون: «الا اخبركم بافضل من الصلاة والصيام والصدقة؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: اصلاح ذات البين« العداوه والبغضاء»، وافساد ذات البين هي الحالقة «التي تفسد الدين».

الحديث الاربعون «قيل: يا رسول الله: اي الناس احب اليك؟ قال انفع الناس للناس.. الخ».

---

(١) رياض الصالحين/ ص٢٤٠.

(٢)وقد صدر الكتاب في الرباط بالمغرب بتاريخ ٤/١٢/٦٢م، ووزعته مكتبة الوحدة العربية/ الدار البيضاء.

* سمى النبي ﷺ قصر الصلاة في السفر صدقة، فقال: «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته».

* قال معاذ (رضي): تعليم العلم لمن لا يعلمه صدقة.

* تطبيق اصولي: يعتبر الحديث دليلاً لمن قال من الاصوليين بمشروعية الاحتجاج بقياس العكس[1].

* قال ابو الدرداء؛ « لأن اقول: الله اكبر مائة مرة احبُّ اليّ من أن اتصدق بمائة دينار».

* وقال سلمان الفارسي وغيره من الصحابة والتابعين: «ان الذكر افضل من الصدقة بعدده من المال»[2].

* من تطبيقات هذا الحديث: الحديث الذي يليه «السادس والعشرون»، فهو تمثيل وتفصيل له وبيان لأنواع اخرى من الصدقة؛ وتعتبر لذلك تطبيقاته تطبيقات لهذا الحديث ايضاً.

٨ ـ مناقشة حول الحديث :

س١) ما الفرق بين الغبطة والحسد، وايهما المشروع وايهما المحرم ؟

س٢) علام يدل قول فقراء المهاجرين: ذهب اهل الدثور بالأجر.

س٣) لماذا نكر كلمة «أمر ونهي. جـ٣) للاشعار بان كل فرد من افرادهما صدقة.

س٤) لماذا اورد كلمة المعروف، معرَّفة، وكلمة المنكر «نكرة».

جـ٤) للمشاكلة بين اللفظ والمعنى، لان المعروف معروف في الشرع والمنكر منكر فيه.

س٥) لماذا سمى التسبيح والتكبير والتهليل صدقة جـ٥) لأن لها أجراً كالصدقة، أو انها صدقة على نفسه اولأنها من المعروف، وكل معروف صدقة بالنص.

س٦) ايهما اعظم ثواباً، الامر والنهي ام التسبيح وما عطف عليه، ولماذا؟

---

(١) قال الآمدي: واما في اصطلاح الاصوليين فهو منقسم الى قياس العكس وقياس الطرد ج٣ من الاحكام في اصول الاحكام/ ص١٦٧.

(٢) جامع العلوم/ ص٢٠٥ـ٢٠٩.

جـ٦) الامر والنهي، لانه فرض كفاية، وقد يتعين، بينماالتسبيح وغيره من الاذكار من النوافل، وفي حديث ٣٨ـ: «وما تقرب إليَّ عبدي بشيء احبّ اليّ مما افترضتهُ عليه.. الخ الحديث».

س٧) كيف تصير المباحات، صدقات وطاعات؟، وبين علاقة ذلك بحديث الاعمال بالنيات.

س٨) قال العلماء: الصدقة بغير المال نوعان، ما هما؟

جـ٨) أ) ما فيه تعدية الاحسان الى الخلق، فتكون صدقة عليهم، كالامر بالمعروف.. وتعليم العلم النافع، وازالة الاذى عن الطريق، والدعاء للمسلمين والاستغفار لهم..

ب) ما تفعه قاصر على فاعله، كأنواع الذكر من التكبير والتسبيح والتحميد والتهليل ـ وكلاهما قد اشتمل عليه الحديث.

س٩) هناك اعمال كثيرة، ذكر النبي ﷺ انها صدقة، فهل يشترط في اعتبارها صدقة أن تقترن بنية؟

جـ٩) أ) ظاهر الاحاديث: انه لا يشترط، وقد ذهب الى ذلك طائفة من العلماء[1].

ب) وهناك رأي ثان، انه يشترط، وان ما ورد مطلقاً يحمل على المقيد، كما قال ﷺ لسعد بن ابي وقاص: «انك لن تنفق نفقة «تبتغي بها وجه الله» إلا أجرت عليها، حتى اللقمة ترفعها الى في امرأتك»، ويدل على هذا الرأي قولـه تعالى: «لاخير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف او اصلاح بين الناس، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجراً عظيماً»[2]، فلم يرتب عليه الاجر الا مع نية الاخلاص، بل انه اذا فعل رياء يعاقب عليه.

---

(١) ممن ذهب الى ذلك: الحسن البصري، وابن سيرين، وابو محمد بن قتيبة ص٢٠٨، ٢١٧/ جامع العلوم فقد سئل ابن سيرين عن الرجل شيع الجنازة حياء من اهلها، أله أجر؟ فقال: له اجران، اجر الصلاة على اخيه واجر لصلته الحيّ (اهله) ص٢١٨/ الجامع.

(٢) الآية ١١٤ من سورة النساء.

وهناك رأي ثالث لأبي سليمان الداراني: من عمل عمل خير، من غير نية، كفاه نية اختياره للاسلام على غيره من الأديان، فهو بدخوله في الاسلام مختار لاعمال الخير في الجملة، فيثاب على كل عمل يعمله منها بتلك النية [1].

والذي أميل إليه: هو الرأي الثالث، بعد تعديله باضافة شرط: ان لا يقترن بنية مناقضة، وذلك مراعاة لحديث: انما الاعمال بالنيات، فهو بظاهره: يقتضي عدم اعتبار العمل مقبولاً ومثاباً عليه بدون نية، ولكن نصاً، مثل: المؤمن يذبح على اسم الله سمى أو لم يسم، فانه يقوي رأي ابي سليمان الداراني، ثم يقويه أيضاً ما ذهبوا اليه في تفسير الخلود في الجنة والنار، مع ان مدة العيش في الدنيا محددة، حيث قالوا: إنه لو عاش اى المؤمن فسيبقى عاملاً بالحق ومتمسكاً باسباب النجاة، فعومل بقصده، ولكن من ذهب الى ترجيح الرأي الثاني «اشتراط النية»، فمعه دليل قوي وهو حديث: انماالاعمال بالنيات؛ والشيخ ابن رجب يميل لهذا الرأي.

س١٠) ايهما أفضل: الذكر ام الصدقة بالمال، مع الدليل؟

جـ١٠) الذكر أفضل، وقد سبقت الاشارة الى ذلك عن ابي الدرداء وغيره من الصحابة والتابعين، وأضيف هنا: وقد تكاثرت الاحاديث الصحيحة في تفضيل الذكر، مثل: الا أنبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضه، وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله عز وجل» خرجه احمد والترمذي، وذكره مالك في الموطأ موقوفاً على ابي الدرداء [2].

س١١) اذكر بعض انواع الصدقات غير ما سبق، وما ذكر في الروايات السابقة.

جـ١١) اقراء القرآن، ازالة الاذى عن الطريق، السعي في جلب النفع للناس، ودفع الاذى عنهم، التبسم في وجه المؤمن، اعانة الصانع، تكفّ شرك عن الناس صدقة، كما في حديث، وعن ابي ذر (رضي)، قال ﷺ:

---

(١) راجع الجامع ص٢٠٨، ٢٠٩.

(٢) جامع العلوم ص٢٠٨.

ليس من نفس ابن آدم إلا عليها صدقة في كل يوم طلعت فيه الشمس، قيل يارسول الله، ومن اين لنا صدقة، نتصدق بها؟ قال: ان ابواب الجنة لكثيرة، التسبيح والتكبير والتحميد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتميط الاذى عن الطريق، وتسمع الأصمّ وتهدي الاعمى، وتدل المستدلّ على حاجته، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف، فهذا كله صدقة منك على نفسك»، وفي رواية عنه ايضاً، فيها: رفعك العظم عن الطريق صدقة.. وعونك الضعيف بفضل قوتك صدقة، وبيانك عن الاغتم صدقة[1]، ومباضعتك امرأتك صدقة..، وورد في الصحيح: ان نفقة الرجل على اهله صدقة، وورد: ما اطعمت نفسك فهو لك صدقة، وما اطعمت ولدك فهو لك صدقة.. وما اطعمت خادمك فهو لك صدقة»، وفي الصحيح: «ما من مسلم يغرس غرساً او يزرع زرعاً فيأكل منه انسان او طير او دابة الا كان له صدقة[2].

س١٢) ما هي صدقة اللسان؟؟ جـ١٢) الشفاعة تفك بها الأسير وتحقن بها الدم، وتجرّبها المعروف والاحسان الى اخيك، وتدفع عنه الكريهة»[3].

---

(١) الاغتم: الذي لا يقدر على الكلام، إما لآفةٍ في لسانه، أو لعُجمة في لغته.

(٢) الجامع ص٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧.

(٣) أربعون حديثاً في اصطناع المعروف/للمنذري/ الحديث ٢٦ ص٦٥.

obeikandl.com